# إدارة النبي صلى الله عليه وسلم لظاهرة الرق في المجتمع المسلم

سيدي محمد إبراهيم
باحث دكتوراه المعهد العالي لأصول الدين
جامعة الزيتونة– تونس

**الملخص:**

يتناول هذا البحث كيفية معالجة النبي صلى الله عليه وسلم لظاهرة العنصرية الناتجة عن الرق، من خلال مواقفه وتوجيهاته التي أسهمت في إلغاء التمييز الطبقي والعرقي في المجتمع الإسلامي، ويركز على دمج العبيد والمحررين في المجتمع، وإبراز النماذج التطبيقية العمليةالتي وضعها النبي صلى الله عليه وسلم وطبقها، ومواجهتهلظاهرة العنصرية بتلك التشريعات والقيم التي غيرت المفاهيم الجاهلية.

**Abstract**

This research deals with how the Prophet, may God bless him and grant him peace, dealt with the phenomenon of racism resulting from slavery, through his positions and directives that contributed to the abolition of class and ethnic discrimination in Islamic society. It focuses on integrating slaves and freed people into society and highlighting the practical applied models that the Prophet may God bless him and grant him peace, developed and applied. And confronting the phenomenon of racism with those legislation and values that changed pre-Islamic concepts.

**مقدمة**

لقد جاء نبينا صلى الله عليه وسلم بشريعة سمحة تحفظ كرامة وحقوق كل بني آدم الذين كرمهم الله سبحانه وتعالى في البر والبحر، فحفظ الأنفس والأعراض والأموال والعقول، فكانت شريعة للجميع، والناس سواسية وميزان الفضل فيها هو التقوى والعمل الصالح، قال تعالى **(وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) الآية 70 سورة الإسراء**

**وقال: (يَٰٓأَيُّهَاٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَلِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِير)** الآية 25 سورة الحجرات، وعليه فلا عبرة بالنسب الطيني إلا إذا صاحبه التقى والعمل الصالح.

وقد قال صلى الله عليه وسلم:(يا أيها الناس، ألا إن ربكم عز وجل واحد، ألا وأن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ألا لا فضل لأسود على أحمر إلا بالتقوى، ألا قد بلغت؟ قالوا: نعم، قال: ليبلغ الشاهد الغائب)[1]

**أهمية البحث**

تكمن أهمية البحث في النقاط التالية:

- إبراز النظرة الحقيقية والسليمة المطابقة للفطرة التي عالج بها الإسلام واحدة من أهم الظواهر الاجتماعية التي شهدتها البشرية عبر العصور.
- بيان خطورة العنصرية على الفرد والمجتمع وتقدم الدول وازدهارها.
- أن كرامة الإنسان مرتبطة بنيله حقوقه كاملة دون اضطهاد ولاظلم ولا احتقار وهذا ما عملت عليه الشريعة الإسلامية.

**سبب اختيار البحث:**

- تسليط الضوء على الحلول العملية لمعالجة هذه الظاهرة حيث أن العنصرية مازالت مشكلة قائمة في المجتمعات الحديثة، ويُعد الرجوع إلى النموذج النبوي وسيلة لفهم الأساليب والآليات ناجحة وعادلة في القضاء على التمييز الطبقي والعرقي.
- بيان عدالة الإسلام في التعامل مع الإنسان حيث يُظهر هذا البحث كيف تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع الرق والعنصرية بأسلوب إنساني يرقى بالعبد إلى مرتبة

**إشكالية البحث**

- هل يمكننا اليوم تطبيق المقاربات التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم في معالجة العنصرية واسترقاق الناس؟
- ماالأدلة والممارسات العملية التطبيقية التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم لإدارة هذه الظاهرة؟

**خطة البحث**

تحدث الباحث عن إدارة النبي صلى الله عليه وسلم لظاهرة العنصرية الناتجة عن الاسترقاق، والتي كانت سائدة عبر العصور وفي كل المجتمعات، من خلال ما يلي:

**المطلب الأول:** الرق والعبودية قبل الإسلام

**المطلب الثاني:** نظرة الإسلام للرقيق

---

[1] فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الدكتور موسى شاهين، دار الشروق الكبعة الأولى 1423، (371/2)

**المطلب الثالث:** الطرق التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم للقضاء على الاسترقاق

**المطلب الرابع:** الآثار المترتبة على علاج النبي صلى الله عليه وسلم لظاهرة الرق

**المطلب الأول:** الرق والعبودية قبل الإسلام

منذ الأزل ارتبطت حياة الإنسان بالرق والرقيق، ومن المفارقات الصارخة أن النظرة إلى هؤلاء لم تكن تختلف بحسب تطور المجتمعات، وتدنيها مثلا؛ وإنما بمستوى تمدنها ونزوحها نحو الحضارة، لما يخلق الاستقرار من مسؤوليات كثيرة، ومهام يومية، وخلود الناس إلى حياة الترف، والدعة، وبالتالي حاجتهم إلى من يقوم على الخدمة، وتأدية هذه الأدوار التي يرى فيها المترفون، استنقاصا من مكانتهم، و ما لا يليق بهم إتيانه، والقيام به، وبالتالي ضرورة وجود أشخاص معينين يوكل لهم ذلك[1]، ولا تكاد تُذكر الحضارات القديمة حتى يكون للرق نصيب وافر من الذكر والحضور ضمنحركة المجتمع البشري، على اختلاف الأزمنة، وقد تعددت موارد هذه الظاهرة قبل الإسلام، فمنها ما كن مرتبطا بالمجتمعات البدوية من خلال الإغارة والصراعات القبلية ومنها ما هو مرتبط بالفقر والدين.

**الرق عند الجاهلية (العرب قبيل الإسلام)**

لقد شاع الرق في مجتمع ما قبل الإسلام أو المجتمع الجاهلي، وخاصة البيئة العربية، وكانت عمليات الاسترقاق تطال الجنس العربي كغيره من الأجناس الأخرى، وكانت عمليات الإغارة والحرب التي تحصل بين القبائل سببا من أساب الاسترقاق في المجتمع الجاهلي، إضافة إلى ما يتم استيراده أثناء التجارة من بلاد الحبشة المجاورة، وبلاد أخرى كالفرس والروم[(2)]

كانت مصادر الرق قبل الإسلام كثيرة ومتشعبة: فمنها البيع، والفقر والسطو والاختطاف والسرقة والدَّين فالمدين إذا عجز عن التسديد يؤخذ رقيقا وكذلك الحروب واسترقاق القوي للضعيف، وكانت تجارة الرقيق منتشرة انتشارا واسعا ولها أسواق معروفة مواسم خاصة.

تقول الدكتورة فاطمة قدوة الشامي:(عرف عرب الجاهلية الرق، كما عرفته الشعوب القديمة وبات من الأمور الأصيلة في الطباع والعادات، بل من جملة الموروثات، وأصل من أصول الحضارة الجاهلية، فالجاهلية مجتمع قبلي عاش على الغزو والسبي، والإنسان من أجل استمرارية وجوده تضعف لديه القيم الإنسانية، فيقتل ويستعبد، ناهيك عن عدم وجود الوازع الديني الذي يمنع أو يقلل

---

[1] مصطفى الجداوي، دراسة جديدة عن الرق في التاريخ وفي الإسلام، القاهرة، 1963م، (19/1).

[(3)] محمود شكري الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وضبط محمد بهجة الأثري، القاهرة، 1314هـ، (288)، أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية، ص168، القاهرة 1314هـ، (1314)، مكة والمدينة في الجاهلية، ص168.

من هذه الجرائم بحق الإنسان، أضف إلى ذلك الرغبة بالسيطرة والقوة والنفوذ، وبسبب هذا المجتمع البدوي فإن الرق والاستعباد كان السمة الطاغية على هذه العصر، كذلك فإنه كان المحرك الاقتصادي الرئيس في هذه المجتمعات)[1]

ونلاحظ أنَّ الكتب السماوية والشرائع عند اليهود والمسيحيين أقرت وجود الرق، ولكن الإسلام لم يترك الرق على حاله بل وضع القيود وسن القوانين من أجل حسن معاملة الرقيق[2]

**المطلب الثاني: نظرة الإسلام للرقيق**

جاء الإسلام والرق منتشر بين الأمم كما أسلفنا فلا فرق بين الرقيق والدواب حيث لا تحفظ لهم حقوق ولا ترعى كرامة لهم ولا ينالون رحمة ولا رأفة، فجاء النبيصلى الله عليه وسلم بالقرآن والدين الحنيف الخاتم لكل الرسالات، فأحدق به ضعاف مكة، واتبعوه، وكان من مآخذ قريش عليه صلى الله عليه وسلم أنه ساوى بين العبيد وأسيادهم، وكان معيار التقوى هو الأساس في تفاضل الناس، وفي نيل المكانة والتقدم.

ومن هنا يمكن أن نلمح أصول التكريم والمساواة النافية للرق، والمعالجة لما ارتبط به في معايير الأمم السالفة، في إطار وجهة نظر الإسلام، من خلال الأصول التالية:

**1- أصالة تكريم الإنسان في شريعة الإسلام:**

فقد قال الله سبحانه وتعالى في القرآن الكريم: (وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا)[سورة الإسراء، الآية:70]، قال القرطبي: (والصحيح الذي يعول عليه أن التفضيل إنما كان بالعقل الذي هو عمدة التكليف، وبه يعرف الله ويفهم كلامه، ويوصل إلى نعيمه وتصديق رسله)[3]، فبني آدم كلهم مشتركون في ذلك، وإنما يُنال من كرمهم بقدر بُعدهم عن الدين، ثم لما جاءت الرسل والبينات، فأضافت قيمة أخرى هي التنافس في الإتيان بمقتضى الرسالة، والعمل به، وتطبيقه.

**2- أصالة إتمام المكارم في الرسالة الخاتمة**

مجيء رسالة الإسلام لتكريم الإنسان ورفع الحرج عنه، والأغلال التي كانت تفرضها الجاهلية أمر معلوم، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق)[4]وقصة ربعي بن عامر

---

[2] د/ فاطمة قدورة الشامي، الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الإسلام، دار النهضة العربية،(ص 35

[3] نفس المرجع السابق

[4] أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ- 1964م، (294/10).

[5] أخرجه الإمام أحمد في "المسند" (318/2)، والإمام البخاري في "الأدب المفرد" (273).

مع يزدجر ومحاورته له، ورده عليه فقد قال له: (الله ابتعثنا لنخرج من شـــاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان الى عدل الإسلام)[1].

**3- أصالة الأصل الواحد:**

فنجد أن خطاب القرآن يتوجه إلى أصول واحدة جامعة هي التراب، ومن ثم الآدمية، كما يرشد إلى وحدة المصير قبل البعث (الموت)، ومن بعد ذلك يتحدث عن بُعد آخر يتعلق بالثواب والعقاب وهنا فقط يبزر معيار الكسب، والتوفيق الرباني ولا نسب بين الله والعباد، يقول سبحانه: يَٰٓأَيُّهَاٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ مِّنَ ٱلۡبَعۡثِ فَإِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ مِنۡ عَلَقَةٖ ثُمَّ مِن مُّضۡغَةٖ مُّخَلَّقَةٖ وَغَيۡرِ مُخَلَّقَةٖ لِّنُبَيِّنَ لَكُمۡۚ وَنُقِرُّ فِي ٱلۡأَرۡحَامِ مَا نَشَآءُإِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخۡرِجُكُمۡطِفۡلٗا ثُمَّ لِتَبۡلُغُوٓاْأَشُدَّكُمۡۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَايَعۡلَمَمِنۢبَعۡدِعِلۡمٖ شَيۡـٔٗا[الحج: 5]، ويقول سبحانه: إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖخَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ 59 [آل عمران: 59]، ويقول أيضا: أَكَفَرۡتَبِٱلَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ ثُمَّ سَوَّىٰكَرَجُلٗا37[الكهف: 37]، ويقول أيضا: وَمِنۡءَايَٰتِهِۦٓأَنۡ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٞ تَنتَشِرُونَ 20 [الروم: 20]، ويقول: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ﴾[فاطر: 11]، ويقول: هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٖ ثُمَّ مِن نُّطۡفَةٖ[غافر: 67]

**4- أصالة الأخوة وشمولها لكل المسلمين**

فالمتتبع لخطاب القرآن الكريم يجد أن الحديث عن الأخوة يتوجه إلى جميع المسلمين بلا استثناء، ودون اعتبار لشيء آخر غير الإيمان والإسلام، قال تعالى: إِنَّمَاٱلۡمُؤۡمِنُونَإِخۡوَةٞ فَأَصۡلِحُواْبَيۡنَأَخَوَيۡكُمۡۚ وَٱتَّقُواٱللَّهَلَعَلَّكُمۡتُرۡحَمُونَ10[الحجرات: 10]، وقال تعالى: يَٰٓأَيُّهَاٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡشُعُوبٗاوَقَبَآئِلَلِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِأَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ 13 [الحجرات: 13]، فالقرآن هنا عبر عن أخوة شاملة (يأيها الناسُ)، (المؤمنون)، فهي شاملة لكل الناس الداخلين في شريعة الإسلام، ولكل المؤمنين دون التفات إلى اللون، أو الجنس، أو المقام الذي يخلقه الناس ويتعارفون عليه بينهم، وإنما هي أخوة لها مقتضيات بينها النبي فيما صح عنه فقال صلى الله عليه وسلم[2]: (المسلم أخو المسلم، لا يظلمه ولا يخذله).ويقول: (والذي نفس محمد بيده، ما تواد اثنان ففرق بينهما إلا بذنب يحدثه أحدهما)، وكان يقول: (للمرء المسلم على أخيه من المعروف ست: يشمته إذا

---

[2] أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت:310هـ)، تاريخ الرسل والملوك، (تحقيق: لعريب بن سعد القرطبي وآخرون)، دار المعارف بمصر، ط2، 1967م، (520/3).

[3] أخرجه ابن أبي شيبة (8/ 501)، وابن ماجه (3638)، والبيهقي في "السنن" (9/ 305)، والخطيب في "تاريخه" (25/9و26).

عطس، ويعوده إذا مرض، وينصحه إذا غاب، ويشهده، ويسلم عليه إذا لقيه، ويجيبه إذا دعاه، ويتبعه إذا مات) ونهى عن (هجر المسلم أخاه فوق ثلاث)[1].

فهذا الأصل قائم على أصول الكرامة والتبجيل والتي منها:

- عدم: الاحتقار، والظلم
- تقرير لحقوق الأخوة: الزيارة، التشميت، العيادة للمريض، النصحية، إلقاء السلام، إجابة دعائه، اتباع جنازته.
- النهي عن الهجر ومؤديات العداء والافتراق بين المسلمين.

وقد تواترت السنة النبوية في مواضيع كثيرة تنهى عن التحقير والذم بالأصول أو اللون ومن ذلك:

**أولا:** حديث أب ذر رضي الله عنه قال كان بيني وبين رجل من إخواني كلام وكانت أمه أعجمية فعيرته بأمه فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا أباذر إنك امرؤ فيك جاهلية)[2]

**ثانيا:** حديث عمر رضي الله عنه كان يقول في أبي بكر الصديق وبلال رضي الله عنهما: (أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا)[3] يعني أن بلالا رضي الله عنه سيد له كماأبوبكر الصديق، وهذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي لا يجامل في قول الحق.

وقال صلى الله عليه وسلم: (إن الله أذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء إنما هو مؤمن تقي وفاجر شقي، الناس بنو آدم وآدم خلق من تراب)[4]

فنهى عن جميع دعوات العنصرية وحذَّر من رفعها والتنادي بها وذلك لحديث جبير بن مطعم رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية، وليس منا من مات على عصبية»[5].

وسعيًا في تعزيز مبدأ الانتماء للإسلام والشعارات الإسلامية البعيدة عن التحزُّب القبلي والطبقي، كان النبي صلى الله عليه وسلم يعزِّز في الصحابة ذلك، فقد جاء عن زيد بن

---

[2] مسلم (2561).

[3] صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم (261هـ) دار الجيل بيروت، كتاب الإيمان رقم 3955

[4] البخاري، كتاب فضائل الصحابة، مناقب بلال بن رباح رقم 3544

[5] الترمذي محمد بن عيسى(379هـ)، دار إحياء التراث العربي – بيروت رقم 3955

[6] سنن أبي داوود، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (494/4).

أسلم رضي الله، قال: حمل رجل على العدو فقال: أنا الغلام الفارسي، فقال: له رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا قلت: أنا الغلام الأنصاري»، وكان مولى للأنصار[1].

فالإسلام دين عدل ومساواة وأصل التفاضل فيه هو التقوى، وجاء بمنظومة علمية عملية هدفها القضاء على الرق، وضمان وبيان حقوق الأرقاء ودمجهم في المجتمع وبيان أن الكل سواسية لا فضل لأحد على الآخر إلا بالتقوى، وقد كان للأرقاء السابقين دور كبير في المجتمع الإسلامي ورفع من شأنهم حتى غدو من علية القوم وأسيادهم، بفضل التطبيقات العملية للنظريات والتعاليم التي جاء بها الإسلام في هذا المجال.

**المطلب الثالث: الطرق التي اتخذها النبي صلى الله عليه وسلم لمعالجة الرق:**

وقد أدار النبي صلى الله عليه وسلم هذه الظاهرة من خلال مايلي:

**الفرع الأول: المساواة وإزالة الفوارق الاجتماعية:**

كان من أوائل الأمراض الاجتماعية والأزمات الخطيرة على الفرد والمجتمع العنصرية وقد جاء رسولنا صلى الله عليه وسلم ليبين للعالم أن الأفضلية والخيرية بين البشر لا علاقة لها باللون ولا القبيلة ولا كثرة الأموال، بل تمت إزالة ومحاربة كل تلك الفوارق وترسيخ مبدأ المساواة فأصبح العربي والفرسي والأعجمي والرومي إخوة في الدين لا فضل لأحدهم على الآخر إلا بالتقوى.

وكان صلى الله عليه وسلم يمنع استخدام الألفاظ التي قد تحتمل معنى فيه عنصرية أو عصبية، ومن ذلك ما جاء عن المعرور بن سويد، قال: مررنا بأبي ذر رضي الله عنهبالربذة وعليه برد وعلى غلامه مثله، فقلنا يا أبا ذر! لو جمعت بينهما كانت حلة، فقال: إنه كان بيني وبين الرجل من إخوتي كلام، وكانت أمه أعجمية، فعيرته بأمه، فشكاني إلى النبي صلى الله عليه وسلم فلقيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال (يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية)، قلت: يا رسول الله من سبَّ الرجال سبوا أباه وأمه، قال (يا أبا ذر إنك امرؤ فيك جاهلية، هم إخوانكم، جعلهم الله تحت أيديهم، فأطعموهم مما تأكلون، وألبسوهم مما تلبسون، ولا تكلفوهم ما يغلبهم، فإن كلفتموهم فأعينوهم)[2]. قال ابن بطال:

---

[2]المراسيل، سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني (ص، 242)، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت،ط1، 1408هـ

[3] صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (1282/3).

وهـذا غايـة فـي ذم السـب وتقبيحـه، لأن أمـور الجاهليـة حـرام منسـوخة بالإسـلام، فوجـب علـى كل مسلم هجرانها واجتنباها[1].

**الفرع الثاني: محاربة العبودية والترغيب في العتق**

لقد عملت الشريعة على إلغاء الرق وتضييق مصادره بل ورتبت على العتق الأجر الكبير والثواب الجزيل، وجعله من أفضل القربات، ويمكن بيان ذلك من خلال الآتي:

**أولا: حصر مصادر الرق:**

لقد كانت مصادر الرق قبل الإسلام كثيرة ومتشعبة: البيع الفقر والسطو والاختطاف والسرقة والدين فالمدين إذا عجز عن التسديد يؤخذ رقيقا وكذلك الحروب واسترقاق القوي للضعيف، ومع كثرت هذه المصادر لاتوجد الوسائل الكفيلة لرفعه والتخلص منه حتى جاء الإسلام ووضع حدا وحلولا لهذه الظاهرة الخطيرة، فجعل مصدر الاسترقاق هو الكفر ومحاربة الله ورسوله وألغى ما سوى ذلك، يقول الشنقيطي في أضواء البيان: وسبب الملك بالرق هو الكفر ومحاربة الله ورسوله فإذا أقدر الله المسلمين المجاهدين الباذلين مهجهم وأموالهم وجميع قواهم وما أعطاهم الله لتكون كلمة الله هي العليا على الكفار، جعلهم ملكا له بالسبي إلا إذا اختار الإمام المن أو الفداء لما في ذلك من المصالح للمسلمين[2] وحتى مع بقاء هذا المصدر فإن الإسلام يعتبر الأرقاء بشر كغيرهم ويعاملون معاملة حسنة ووضع لذلك منهجا واضحا وطريقا صحيحا.

**ثانيا: كفالة حقوق الأرقاء السابقين ودمجهم في المجتمع**

لقد كفل الإسلام للأرقاء حقوقهم كاملة عكس الذي كان موجودا في الثقافات الأخرى الذي كان العبيد فيها بمثابة الحيوانات بل أقل شأنا من الحيوانات، لذا نجد النبي صلى الله عليه وسلم أنه في آخر وصاياه في حديث علي بن أبي طالب رضي الله يقول: الصلاة وما ملكت أيمانكم[3] وتتجلى تلك الحقوق وذاك الاعتبار فيما يلي:

1. **الإحسان إليهن:** فقد أمر الله سبحانه وتعالى بحسن معاملة الأرقاء وأوصى بذلك، قال عز وجل: (وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا)( النساء:36)، فقرن الله عز وجل عبادته وتوحيده بالإحسان إلى الأرقاء، وجاء عن

---

[2] شـرح صـحيح البخاري لابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك (241/9)، تحقيق: ياسـر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، ط2، 1423هـ/ 2003م

[3] أضواء البيان محمد الأمين الشنقيطي (389/3)

[4] رواه أبوداود 5156

النبي صلى الله عليه وسلم من حديث المَعْرُور بن سُوَيْدٍ في الصحيحين قالَ: (رأَيْتُ أَبَا ذَرٍّ رضي الله عنه وعليهِ حلة ، وعلى غلامِهِ مِثْلُهَا، فَسَأَلْتُهُ عَنْ ذَلِكَ، فَذكر أَنَّه سَابَّ رَجُلًا عَلَى عهْدِ رَسُولِ اللَّه ﷺ، فَعَيَّرَهُ بأُمِّهِ، فَقَال الكحنبيُّ ﷺ: إِنَّك امْرُؤٌ فِيك جاهِلِيَّةٌ، هُمْ إِخْوانُكُمْ، وخَولُكُمْ، جعَلَهُمُ اللَّه تَحت أيدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحت يَدِهِ فليُطعِمهُ مِمَّا يَأْكلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يلبَسُ، وَلاَ تُكَلِّفُوهُم مَا يَغْلبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفتُمُوهُم فَأَعِينُوهُم)[1]

2. **النهي عن مناداتهم بالعبيد احتقارا لهم:** فقد جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة رضي الله أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لا يقولن أحدكم عبدي وأمتي كلكم عبيد الله وكل نسائكم إماء الله ولكن ليقل غلامي وجاريتي وفتاي وفتاتي[2]

وإنما نهى النبي صلى الله عليه وسلم حفاظا على المشاعر الإنسانية وتقديرا للنفس البشرية وإشعارهم بالمساواة والأخوة.

3. **تزويجهم بشريفات النسب:** لقد حطمت الشريعة الطبقية والفوقية بين الناس وذلك بالفعل والقول في جميع المجالات، ومن أكثر المواضيع حساسية الزواج واختلاط الأنساب، فقد تزوج بعض من كان من الموالي بالقرشيات شريفات النسب والحسب ومن ذلك على سبيل المثال:

- زواج زيد بن حارثة الذي كان من الموالي بزينب بنت جحش شريفة النسب والحسب ومن أشراف قريش، وقصتها مشهورة معروفة.
- زواج سالم مولى أبي حذيفة من فاطمة بنت الوليد بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف القرشية العبشمية زوجها منه عمها أبو حذيفة بن عتبة.
- زواج بلال من هالة بنت عوف أخت عبد الرحمن بن عوف.

فتزويج النبي– صلى الله عليه وسلم – لعددٍ من أصحابه الموالي رسالةٌ واضحةٌ أن العبرة والمعوّل عليه إنما هو الدين والخلق والتقوى، بغضّ النظر عن المكانة الاجتماعيّة، فقد زوّج مولاه زيد بن حارثة بقريبته زينب بنت جحش الهاشمية رضي الله عنهما، وزوّج أسامة بن زيد بفاطمة ينت قيسالقرشية، فكان هذا النموذجان أسوة للأمة من بعده، خاصة في عصرنا.

**ثالثا: الترغيب في العتق وبيان فضله**

لقد رغبت الشريعة ترغيبا بليغا في عتق الموالي والعمل على ذلك من مكاتبة وغيرها، فالإسلام يتشوف لحرية الجميع والنصوص الشرعية تدل دلالة واضحة على القضاء على العبودية ومخلفاتها، وذلك

---

[2]صحيح البخاري رقم 2545

[1]صحيح مسلم رقم 2249

بأن جعل كفارة بعض الذنوب تحرير رقاب العبيد، بالإضافة إلى المساعدة في ذلك بالمال فهي من أعمال البرّ والإحسان وقد قال تعالى :﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَٰكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّارَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ سورة المائدة: 89.

وقد جعل الله عتق الرقاب كفارة لكثير من الذنوب، ويترتب عليها كثير الأجر فمن ذلك:

1. **الترغيب في ذلك مطلقا:** فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: من أعتق رقبة مسلمة أعتق الله بكل عضو منه عضواً من أعضائه من النار[1]، وعن أبي موسى رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ثلاثة يؤتون أجورهم مرتين الرجل تكون له الأمة فيعاملها ويحسن تعليمها ويؤدبها فيحسن تأديبها ثم يعتقها فيتزوجها فله أجران ومؤمن من أهل الكتاب الذي كان مؤمناً ثم آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم فله أجران والعبد الذي يؤدي حق الله تعالى وينصح لسيده[2]
2. **تخصيص سهم من الزكاة لعتق الرقاب وإعانة المكاتبين:** قال تعالى: *"إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ" (التوبة: 60).*
3. **عتق الرقبة كفارة لكثير من المعاصي والمخالفات:** لقد جعل الله سبحانه وتعالى عتق الرقاب كفارة لأمور كثيرا ما تكرر من المسلمين وفي كل الأزمنة مثل:
   - كفارة قتل الخطأ عتق رقبة.
   - كفارة الظهار عتق رقبة.
   - كفارة الأيمان عتق رقبة.
   - كفارة من أفطر في رمضان متعمداً عتق رقبة.

بل لقد جعل صلى الله عليه وسلم كفارة ضرب العبد عتقهأورد القرطبي في تفسيره أمرالإسلام بالإحسان إلى الخدم والعبيد، وجعل من الكفارات لبعض الذنوب عتق الرقيق والعبيد.وفي هذا الحديث يروي التابعي أبو عمر زاذان، أنه جاء إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما وقد أعتق ابن عمر مملوكا، أي: حرر عبدا، وفي رواية أخرى لمسلم: «أن ابن عمر دعا بغلام له، فرأى

---

[2]صحيح البخاري رقم 6715

[1] صحيح البخاري رقم 3011

بظهره أثرا، فقال له: أوجعتك؟ قال: لا، قال: فأنت عتيق»، فبينت الرواية أن ابن عمر قد ضـــرب هذا المملوك، ثم أخذ ابن عمر رضـــي الله عنهما من الأرض عودا أو شـــيئا، فقال: «ما فيه من الأجر ما يسوى هذا»، أي: ليس لي في إعتاقه شيء من الأجر؛ لأن عتقه جاء كفارة لذنب ضربه إياه، وذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لطم»، أي: ضرب مملوكه على خده أو في سائر بدنه، فكفارته أن يعتقه، أي: يحرر العبد المضروب.

وهذا من حماية الإسلام للعبيد من الضرب والأذى، بل طالب الأسياد بأن يعاملوهم معاملة إخوانهم، فيطعموهم مما يطعمون، ويلبسـوهم مما يلبسـون، ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، فإن كلفوهم بما يشق عليهم أعانوهم عليه بأنفسهم وبمن يقدرون عليه من غيرهم، واعتبر مجردشتمهم أو سبهم خلقا من أخلاق الجاهلية التي ينبغي البعد عنها، وفي الحديث: بيان كفارة ضرب العبد.وفيه: الحث على الرفق بالمملوك[1]

**المطلب الرابع: الآثار المترتبة على علاج النبي صلى الله عليه وسلم لظاهرة الرق:**

لقد اتخذت إدارة النبي صلى الله عليه وسلم لأزمة العنصرية أنماطا متعددة وكان لها تأثير كبير سواء كان في مجتمع قريش التي تغلغلت فيهم النظرة العنصرية والفوقية أو الصحابة الذين تلقوا أمر الله ورسوله بالسمع والطاعة.

وكان من نتائج معالجة النبي صلى الله عليه وسلم لأزمة العنصرية بين الصحابة رضي الله عنهم وقوفهم دون أيّ اعتداء على الناس على أساس التفاضل العرقي، ومن ذلك ما جاء عن أنس أنَّ رجلا جاء من مصر إلى عمر بن الخطّاب رضي الله عنه فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص رضي الله عنه فسبقته، فجعل يضربني بالسّوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين، فكتب عمر رضي الله عنه إلىعمروبن العاص رضي الله عنه يأمره بالقدوم عليه ويقدم بابنه معه، فقدم، فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمررضي الله عنه: اضرب ابن الأكرمين، قال أنس رضي الله: فضرب فو الله لقد ضربه ونحن نحبّ ضربه فما أقلع عنه حتى تمنّينا أنه يرفع عنه، ثم قال عمر رضي الله عنه للمصري: ضع على ضلعة عمرو، فقال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمربن الخطاب رضي الله عنه لعمرو بن العاص رضي الله عنه: مذ كم تعبّدتم الناس وقد ولدتهم أمّهاتهم أحرارا؟ قال يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني[2].

---

[2] تفسير القرطبي (315/6)

[1] فتوح مصر والمغرب، عبد الرحمن بن عبد الحكم (ص، 195)، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ

**الخاتمة:**

**انطلاقا مما سبق فإن البحث يجمل نتائج البحث في النقاط التالية:**

- أن الإسلام أنار عصورا كانت مظلمة يسود فيها الظلم والعنصرية والاسترقاق، فحرم ذلك كله ووضع أسسا واضحة وقواعد دقيقة لتجنب كل ذلك
- أن النبي صلى الله عليه وسلم بين أن الناس سواسية لا فرق بينهم إلا بالتقوى وطبق ذلك على المستوى الاجتماعي والاقتصادي والقيادي
- يجب على الدول الإسلامية أن تعتز بدينها وتبينه للعالم عبر المنظمات الدولية ليتأكد الجميع أن الإسلام هو من محارب العنصرية والاسترقاق بطريقة عملية لا بالدعوات الجوفاء الكاذبة التي ينادي بها الغرب اليوم.

**المصادر والمراجع:**


1. إبراهيم هاشم الفلالي، لارق في القرآن، القاهرة
2. ابن بطال، علي بن خلف بن عبد الملك شرح صحيح البخاري تحقيق: ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، السعودية، ط2، 1423هـ/2003م
3. ابن كثير، تفسير القرآن العظيم
4. أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم، صحيح مسلم، (261هـ) دار الجيل بيروت،
5. أبو جعفر محمد بن جرير الطبري(ت:310هـ)، تاريخ الرسل والملوك.
6. أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق السجستاني المراسيل، شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط1، 1408هـ
7. أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، (تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش)، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط2، 1384هـ-1964م.
8. أحمد إبراهيم الشريف، مكة والمدينة في الجاهلية، القاهرة 1314هـ، مكة والمدينة في الجاهلية.
9. أحمد شفيق، الرق في الإسلام، ترجمة: أحمد زكي، الناشر مؤسسة هنداوي، 2017م.
10. أحمد شلبي، مقارنة الأديان (الإسلام)، مطبعة السنو المحمدية، ط4، القاهرة 1973م.
11. البيضاويناصر الدين عبد الله بن عمر، تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، 1433هـ /2012م
12. الترمانيني، الرق ماضيه وحاضره، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، الإصدار 23، 1990م.
13. الترمذي محمد بن عيسى(379هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت

14.توفيق سلطان اليوزبكي، دراسات في النظم العربية الإسلامية، الموصل 1977م.
15.جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، تاريخ الحكماء، ليبزاك، 1903م.
16.الشنقيطي، محمد الأمين الشنقيطيأضواء البيان.
17.عبد الرحمن بن عبد الحكم، فتوح مصر والمغرب، مكتبة الثقافة الدينية، 1415هـ
18.عبد القادر عودة، الإسلام بين جهل أبنائه وعجز علمائه.
19.علي شحاته، الرق بيننا، وبين أمريكا، دار الفكر الإسلامي، دمشق، ط1، 1958م.
20.فاطمة قدورة الشامي، الرق والرقيق في العصور القديمة والجاهلية وصدر الإسلام، دار النهضة العربية.
21.فتح المنعم شرح صحيح مسلم، الدكتور موسى شاهين، دار الشروق، الطبعة الأولى، 1423هـ.
22.محمد حسين الزبيدي، الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الكوفة في القرن الأول الهجري، القاهرة 1970م.
23.محمود شكري الآلوسي، بلوغ الأرب في معرفة أحوال العرب، شرح وضبط محمد بهجة الأثري، القاهرة، 1314هـ.
24.مصطفى الجداوي، دراسة جديدة عن الرق في التاريخ وفي الإسلام– القاهرة، 1963م.